يقطع به المراحل ويطوى على ظهر الطريق والبدن مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة
وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره في الرياضة كان كمن اشتغل
طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها
وهي لعمري فايدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والدابة تراد لفايدة تحصل من
حياتها فلذلك الخلاص عن الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع به كالراهب
الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب عقور حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن
بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس ولكن ينبغي ان يتشوف
الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان ان العزلة اعون
عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة اخرا واما التاديب فنعني به ان يروض
غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه
حكمه ويتطرق اليه من طريق دقايق الافات ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين
الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر
له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالاخر وليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق
الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات الفايدة الرابعة
الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا
يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام كموانسة من لا يجوز موانسته او على وجه مباح
وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين
كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض
منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان
في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق
على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين
والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لولا مخافة الوسواس
لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني
المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد

وطلب

في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه ساير ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين
خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية
احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح
للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه محرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس
في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيها احوال القلب
واحوال الجليس اولا ثم ليجالس الفايدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور
الجنايز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في ساير الصلوات
ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه
وكذلك لا يستغني الا نادرا وكذلك في حضور الاملاك والدعوات ثواب من حيث انه ادخال
سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصايب
او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة
نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات
بافاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد يترجح العزلة وقد يترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من
السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنايز بل كانوا
احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز
الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفايدة السادسة من المخالطة
التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا
في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا
في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله تعالى الى نبيه قل لفلان انك قد ملات
الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض
وقال الان قد بلغت محبة ربي فاوحى الله عز وجل الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاي
قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى
في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى اليه الان قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته
وباعثه التكبر ومانعه من المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم
ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه

Copyright © King Saud University